الأهرام

المصدر: الوطن السعودى

التاريخ : ١٠ يناير ٢٠٠٣

أفْرَقة العولمة

الانطباع السائد عن العولمة أنها تتجه إلى أمركة العالم من خلال نشر نموذج القيم والحياة الأمريكية وتعميمه على شعوب المعمورة. عبر الترويج للفردانية واقتصاد السوق والديمقراطية، فضلا عن المستهلكات التي تحفل بها الحياة الأمريكية مثل المشروبات الغازية وبنطلونات الجينز والهمبرجر والثقافة الشعبية (البوب) وموسيقى الراب، وانتهاء بالتأثير الذي تمثله صناعة السينما والفيديو والتلفزيون الأمريكية وهيمنتها على المستوى العالمي مما أدى للتعاطي مع خصائص الحياة الأمريكية. وهذا صحيح إلى حد ما، ويكاد أن يكون مألوفا انطلاقا من خبرة التاريخ. هذه الخبرة التي تشي بأن بعض خصائص الحضارة المهيمنة وبالتالي الدولة المهيمنة تسود في حقبة معينة. وبحكم شمولية الصدارة الأمريكية وتفوقها وقوتها من الطبيعي أن يتعزز الاتجاه الأمريكي في العولمة. دون أن يعني ذلك أن العالم يتجه بالفعل نحو الأمركة. فالتاريخ عبر مسيرته الطويلة قد عرف انتقال أزياء وموضات وأكلات بل حتى مفردات لغوية معينة من مجتمع إلى آخر، ومن حضارة إلى أخرى، ومن شعب إلى آخر دون أن يكون لذلك تأثير على القيم والمقومات الثقافية للحضارة المستقبلة أو الشعب الذي يتقبل ذلك. كما أنه لا يوجد ما يعزز الافتراض القائل إن ظهور وسائل الاتصال الكونية وانتشارها بات يؤدي إلى تحول في الاتجاهات والأفكار بشكل حاسم بما يعزز الأمركة في العالم. صحيح أن صناعة السينما والإعلام يوجد مركز ثقلها في أمريكا، لكن الشركات المسيطرة على هذه الصناعة بهدف تحقيق الربح تعاطت مع عمومية الاهتمام الإنساني بالحب والجنس والعنف والثروة والغموض. ومع ذلك فإن النتيجة كانت عكسية فما يُعدُّ سيطرة إعلامية يُعدُّ من منظور معاكس غزواً إعلامياً، وهذا ما شجع انتشار صناعة إعلام محلية وإقليمية لخدمة الأذواق المتمايزة الخاصة بكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية.

وبذلك يمكن للمرء أن يخلص إلى نتيجة رئيسة ألا وهي: أن العولمة لا تسير بالعالم نحو حضارة كونية واحدة بأي معنى من المعاني. ولا تتجه به إلى الأمركة. بل على العكس فإن العولمة صارت بما تفرزه من نتائج تعمم نموذجاً مناقضاً تاما للأمركة ؛وهو أقرب للأفرقة (نسبة إلى إفريقيا) التي ارتبطت بالإدراك الجماعي العام كونها قارة اجتمع فيها في أوان واحد ومعا الفقر والدكتاتورية والصراعات العرقية والقبلية وانتشار الرق. فالمؤشرات متزايدة على أن العولمة صارت تضع الشعوب المختلفة بشكل متزايد تتمسك بهوياتها الثقافية على نحو متعصب في معظم الأحيان... وتاليا فإن الاتجاه نحو العولمة يرادفه اتجاه متصاعد نحو النزعة الإقليمية، وبشكل أكبر نحو المحلية. وهذا ما يؤدي إلى نزعات الانفصال والانشطار داخل الدول نتيجة لتصاعد النزعات المحلية والهويات العرقية. ويعمم صراعات التكوينات الاثنية، دون أن يستثني الغرب من ذلك، و لا حتى أمريكا. فصاحب نظرية "صدام الحضارات" ÷ هنتنجتون ÷ يرصد هذا التحول في المجتمع الأمريكي قبل أحداث سبتمبر الماضي. وما تحفل به السياسة الخارجية الأمريكية من تناقضات ما

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

إن الشيء المؤكد هو أن العولمة تسير بتضاد مع الأمركة... وإن الأَفْرقَة صارت المرادف للعولمة في نتائجها... وإن الأَفْرقَة بما تثيره من تداعيات صارت تصيب بعدواها الدول الغربية نفسها وبشكل أكثر بشاعة مما هو عليه الحال في إفريقيا...

هو إلا نتيجة للتأثير المتباين لجماعات الضغط ذات النزعات العرقية التي يحفل المجتمع الأمريكي بها. وهذا كله مقدمات للتطهير العرقي الذي أضحت معالمه الأولى بارزة منذ الآن في بعض الولايات الأمريكية والمدن الأوروبية؛ ومن المؤكد وفقاً للمؤشرات الراهنة أن يتسع نطاقه في السنوات المقبلة...

ومن جهة تعميم اقتصاد السوق وما يرتبط به من خصخصة، فإنه عزز الرأسمالية المتوحشة التي عممت الفقر على الصعيد العالمي عبر تركيزها الثروات والغنى لدى عدد محدود من الناس، وهذا ما يلاحظه أستاذ الاقتصاد في جامعة أتاوا في كندا البروفيسور (ميشيل تشوسودوفيسكي) عندما يتحدث في كتابه الصادر عام 1998م تحت عنوان "عولمة الفقر" ليس فقط عن اتساع جغرافية الفقر من إفريقيا وجنوب آسيا وأجزاء من أمريكا اللاتينية ليصيب النمور الآسيوية وأوروبا الشرقية والبلقان وروسيا فحسب وإنما الغرب نفسه أيضاً بما في ذلك أمريكا ذاتها، ليقول إن تحطم دولة الرعاية لم يجعل الفقر في مناطق الجيتو والأكواخ في المدن الأمريكية والأوربية في تزايد مستمر فقط وإنما يجعله يأخذ شكلا شبيها في عدد من نواحيه لما هو سائد في إفريقيا جنوب الصحراء.

وطبيعي مع تزايد الفقر وارتفاع مستويات البطالة أن تتصاعد النزاعات المدنية والتشققات الاجتماعية والغليان. وما تشهده المجتمعات الديمقراطية في اللحظة الراهنة بسبب تزاوج العولمة مع التكنولوجيا من إعادة تشكيل هذه المجتمعات وإيجاد التقلصات والتوترات التي تقود إلى كل الاحتمالات، وفي مقدمة هذه الاحتمالات التحولات المضادة للديمقراطية عبر تطور نزعة الشمولية العرقية والدكتاتورية الفئوية. ومن الطبيعي والأجواء كذلك أن تتعزز الاتجاهات المضادة للديمقراطية ولو بأسلوب غير مباشر. والدليل الذي يمكن أن يقدَّم بهذا الصدد مشهد تصاعد أسهم السياسيين أصحاب النزعات العنصرية في الغرب والدعوات المعادية للأجانب، والواعدين بتدخل الدولة المنظم اقتصاديا واجتماعيا من أجل تأمين الرفاه الاجتماعي. وبدوره فإن تزايد عنف السلطة ممكن أن يقدم حجة لتدعيم هذه القناعة. وعلينا أن نتذكر أن عنف السلطة والحد من الحريات الفردية ليس مرتبطاً في جوهره بهجمات سبتمبر الماضي بما في ذلك توسيع صلاحيات الحكومة المركزية في أمريكا وأجهزتها الأمنية وإنما هو تطور لمسيرة تحولات سابقة... إن عنف السلطة شهدناه ولمسناه قبل أحداث سبتمبر، وتكفي المقارنة بين مواجهة السلطات الديمقراطية للاحتجاجات في سياتل عما حدث في جنوى ليدرك المرء كيف أن عنف السلطة كان آخذا بالتنامي حتى قبل الهجمات الإرهابية على أمريكا. وبالتأكيد فإن الهجمات عمقت من هذه التحولات.

إن الشيء المؤكد هو أن العولمة تسير بتضاد مع الأمركة... وإن الأَفْرقَة صارت هي المرادف للعولمة في نتائجها... وإن الأَفْرقَة بما تثيره من تداعيات صارت تصيب بعدواها الدول الغربية نفسها وبشكل أكثر بشاعة مما هو عليه الحال في إفريقيا... والنماذج عديدة : مثل انتشار تجارة الرقيق الأبيض والدعارة والاستغلال الجنسي للأطفال والنساء وهو ظاهرة بارزة في الغرب، فهو ظاهرة أكثر بشاعة من ظاهرة الرق في إفريقيا.

---

* كاتب عراقي

عصام فاهم العامري*

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية